

أحاديث رمضان ٤٢٤ هـ - ومضات في آيات الله - الدرس (٣٢-٢٥) : إن عذاب ربك لواقع

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١١-١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعود الأمين.

سارع إلى التوبة قبل فوات أوانها:

أيها الأخوة الكرام، نحن في تعاملنا مع بعضنا، لو أن جهة قوية لا ترحم، علمها يطولك، وقدرتها
تطولك، هل تعصيها؟ مستحيل، دفق في هذه الكلمة:

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)

[سورة الطور الآية: ٨-٧]

لعل عذاب البشر تتوسط لدى من هو أقوى من الذي أوقع العذاب فيسامحك، بضغط على من هو فوقك، لكن هذه الآية:

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)

[سورة الطور الآية: ٨-٧]

فالاولى أن ننكيف مع هذا الحدث؛ الحدث الذي يأتي بعد الموت.

يوجد حالة ثانية: إذا كان القوي علمه يطولك، وقدرتها تطولك، فلا بد من أن تطيعه، وإلا يكون الإنسان منتحراً، هذا مع قوي الأرض، فكيف مع جبار السماء؟ قال تعالى:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

[سورة البروج الآية: ١٢]

النقطة الثانية: لو أن إنساناً ارتكب جريمة قتل وحكم، فحكم عليه بالإعدام، ومحكمة النقض صدقت هذا الحكم، ورئيس الجمهورية صدق هذا الحكم، وعين وقتاً للتنفيذ، هذا الذي صدر عليه، حكم بالإعدام قبل أن يصعد لخشبة المشنقة، لو أنه بكى هل ينجو؟ لو ضحك، لو انهار، لو تجاد، لو رجا، لو أنه لم يرج، لو أنه شتم أو مدح؟ افعل ما شئت، هذا الحكم لا بد من أن ينفذ، فالبطولة إلا تصل مع الله إلى طريق مسدود، إذا مات الإنسان عاصياً، كافراً، منحرفاً، مرتكباً للمعاصي والآثام، وصل إلى الله بطريق مسدود، دفق في هذه الآية:

(اَصْلُوْهَا فَاصْبِرُوا اُوْ لَا تَصْبِرُوا

-إن صبرتم أو لم تصبروا فالأمر سيان:-

(إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

[سورة الطور الآية: ١٦]

ما دمنا أحياء، وما دام القلب ينبض، وما دام في العمر بقية، كل شيء يصح:

(وَإِنِّي لَغَافِرٌ لِمَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)

[سورة طه الآية: ٨٢]

(فَلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)

[سورة الزمر الآية: ٥٣]

(نَبِيٌّ عَبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

[سورة الحجر الآية: ٤٩]

عبدي لو جئنتني بملء السموات والأرض خطايا، غفرتها لك ولا أبالي.

لكن البطولة: أن تتوب وأنت في الدنيا، أن تتوب في الوقت المناسب لا بعد فوات الأوان.

قال تعالى:

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ)

[سورة الطور الآية: ٨-٧]

(اَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا اُوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْתُمْ تَعْمَلُونَ)

[سورة الطور الآية: ١٦]

الدنيا دار كدح والآخرة دار تكريم:

معنى آخر لطيف: أعتقد في الخمسينيات حينما كنا طلاباً في هذا البلد الطيب، كرم الأوائل في الشهادات كلها، ودعوا للقصر الجمهوري، وقدمت لهم الهدايا، وغضتهم وسائل الإعلام، وكرموا تكريماً حافلاً، وكما أعلم هذا كل عام، لكن هذا الطالب الذي درس، وسهر الليالي، وبذل جهداً كبيراً، انتهى وقت التعب، وجاء وقت التكريم، إنسان يدرس في اختصاص نادر لا ينام الليل، يهمل كل نشاطاته الاجتماعية، يدرس، ويتابع، ويقرأ، ويترجم، ويؤلف، وداوم، ويتحمل ضغط المدرسين وشدهم، بعد أن ينال الدرجة العلمية العالية انتهى التعب، وبدأ التكريم، دخله كبير، وقته محدود، مكانته كبيرة، بيته فخم حسب مواصفات الدنيا، الذي حصل على من مستوى رفيع، وله دخل كبير، له طريقة خاصة في حياته، فالبطولة: أنك في الدنيا تتعب، لكن الآخرة دار تكريم في الدنيا:

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَذُحًا فَمُلَاقِيهِ)

[سورة الانشقاق الآية: ٦]

أما في الآخرة:

(لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)

[سورة ق الآية: ٣٥]

ل مجرد أن يخطر في بالك شيء هو أمامك:

(قُطُوفُهَا دَائِيَةٌ)

[سورة الحاقة الآية: ٢٣]

انظر إلى هذه الصورة الثانية المعاكسة:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَّعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَفَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرِبُوا هَنِئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوْجَجَنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَبَعَتْهُمْ ذُرِيَّتُهُمْ بِإِيمَانِ الْحَقَّنَا بِهِمْ ذُرِيَّتُهُمْ وَمَا أَتَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)

[سورة الطور الآية: ٢١-٢٧]

من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه:

من يقتني الكمبيوتر في برنامج الكتابة، شيء اسمه: قص ولصق، ونسخ ولصق، إذا أردت نقل نص من مكان إلى مكان؛ تقص وتلصق، أما إن أردت أن تحفظ بالنص الأول، تأخذ نسخة منه، وتنقلها إلى مكان آخر؛ تستخدم اللصق والنسخ، إذا آمن الإنسان، وربى ابنه تربية عالية، وهذا الابن كان صالحًا، كل أعماله في صحيفة والده، نسخ ولصق، نسخة تامة كاملة من أعمال الابن تلحق أعمال الأب، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((خير كسب الرجل ولده))

إنه استمرار له، والذي عنده ولد يمكن أن يرقى به إلى أعلى عليين .

البارحة كنا في طرابلس، وكنا في المسجد، ما وقعت عيني على مسجد فيه من الروعة، والدقة، والإتقان، وتلبية حاجات المسلمين، والمسحة الجمالية لهذا المسجد، اسمه: مسجد الوفاء، لأن رجلاً صالحًا حفظ كتاب الله، وكان فقيراً، ربى ولدين تربية عالية، وأخذ الله بأيديهما، وأغناهما، فجاؤوا بأعلى مهندس في العالم، مركزه في لندن، وبنى لهم هذا المسجد من أجل أن يكون في صحيفة أبيهما، وسمى هذا المسجد: مسجد الوفاء

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَبَعَتْهُمْ ذُرِيَّتُهُمْ بِإِيمَانِ الْحَقَّنَا بِهِمْ ذُرِيَّتُهُمْ وَمَا أَتَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)

[سورة الطور الآية: ٢١]

إن رب بيته ابنك، وكان عالماً كبيراً، وكل أعماله في صحيحتك.

أحياناً الأب يفوته شيء من الدنيا، قد يفوته العلم، فإذا اعنى بابنه، وجعله عالماً، وكل أجر ابنه في صحيحته، كل إنسان فاته من الدنيا شيء، لا يوجد واحد ما فاته شيء، لكن موضوع الابن: أنه يكمل نقصه بابنه، فأنت إذا رب بيته ابنك، وكان أعلى منك، وما في الأرض إلا إنسان واحد هو الأب أو الأم، لو فاق الابن أباه، يكون هذا موضع امتحان من الأب، الأب يفتخر أن ابنه قد سبقه، وهو أعلى منه، آية دقيقة جداً للأباء:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوكُمْ دُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانِ الْحَقَّا بِهِمْ دُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْتَشَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ
أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَاهِينٌ)

[سورة الطور الآية: ٢١]

إذا كنت تؤمن بالآخرة فأعد لها الصالحات من الأعمال:

القضية بحسب نظرية لا فوازيه شيء مقابل شيء، هؤلاء المتقون الذين دخلوا جنات النعيم، ونعموا بها، كيف كانوا في الدنيا؟ قال:

(قَلُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلًا فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ)

-كان يخاف في الدنيا، فأمنه الله يوم القيمة، والذي لم يخف في الدنيا، متى خاف؟ يوم القيمة، فأنت مخير، تحب أن تخاف في وقت محدود، ثم يأتي بعده وقت كله رعب وخوف، أو أن تطمئن في الوقت المحدود، فيأتي بعد ذلك وقت مديد إلى ما لا نهاية، كله طمأنينة وسعادة:-

(قَلُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلًا فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ أَنْجَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَاتَنَا عَذَابُ السَّمُومِ)

[سورة الطور الآية: ٢٦-٢٧]

((لا أجمع على عيدي خوفين وأمنين؛ إن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيمة، وإن خافي في
الدنيا أمنته يوم القيمة))

قال تعالى:

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمِ مُتَّقِلِّونَ)

[سورة الطور الآية: ٤٠]

ماذا تكلفك الصلاة؟ هل منعك الله أن تأكل، أن تشرب، أن تتزوج، أن تنام، وتشرب، وتنام، وتتزوج، ولكن تصلي، وتصوم، وتصدق، وتكون أميناً، الله عز وجل يقول:

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا)

لهم رسم عال جداً، فمن أجل أن تنجو في الآخرة، يجب أن تدفع تسعين بالمئة من دخلك، لا اثنين ونصفاً فقط، هذا مبلغ زهيد جداً، الله عز وجل ما سألك شيئاً فوق طاقتك:-

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمِ مُتَّقِلِّونَ * أَمْ عِذَابُ الْغَيْبِ فَهُمْ يَكْتُبُونَ)

[سورة الطور الآية: ٤٠-٤١]

أيها الأخوة الكرام، مشكلة سأقدمها بشكل مثل، قصة وقعت في هذا البلد: إنسان من كبار الأغنياء، ضاقت به الدنيا في بلده، وكره بلده، رسم خطة ذكية جداً، باع المعمل والمحلات التجارية، ومنزله في أرقى أحياء دمشق، ومركباته كلها، وحولها للخارج، مختصر القصة: ذهب إليه، فمن أجل أن يضع الثروة في مكان آمن، نقلها من مكان إلى مكان، المكان الثاني تنقصه بعض الوثائق، فسجل هذه الثروة باسم صديق له كي يقدم بعض الوثائق، بعد أن سجلها كلها باسم صديقه، تذكر له، وقال له: ليس لك عندي شيء.

تصور إنساناً يملك كتلة نقدية كبيرة جداً، خسرها في ثانية واحدة، مثل أقرب:
بعث بيتك الوحيد الذي تملكه بعملة صعبة، وقبضت الثمن عدا ونقداً، وسافر الذي اشتري البيت،
ثم اكتشفت أن العملة مزورة، لا تصعق؟ ضريبة مالية يصعق بها جلطة ومات.
دقق في هذه الآية:

(فَذُرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَفُونَ)

[سورة الطور الآية: ٤٥]

صعق حينما يكتشف أنه خسر الآخرة، وجاء الموت، وخسر الدنيا، الدنيا مغادرتها شيء صعب جداً، بيت مئة وستون متراً، أربعين متراً، غرف كبيرة واسعة، فرش، أسرة، أدوات كهربائية، من هذا البيت إلى القبر، من زوجة، وأولاد، لقاءات، واجتماعات، ومكانة إلى القبر، فذلك:

(فَذُرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)

[سورة الزخرف الآية: ٨٣]

(فَذُرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَفُونَ)

[سورة الطور الآية: ٤٥]

أيها الأخوة، البطولة، والذكاء، والتوفيق، والنجاح، والفلاح: أن تعد لهذه الساعة التي لا بد منها، تعد لها بالأعمال الصالحة:

(فَذُرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَفُونَ)

[سورة الطور الآية: ٤٥]

أيها الأخوة:

(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)

[سورة الطور الآية: ٤٨]

ولكل مؤمن من هذه الآية نصيب، أنت بعانتنا، وبرعايتنا، وبحفظنا، وتوفيقنا، وكل مؤمن بقدر إيمانه، واستقامته، وحرصه، وإخلاصه، الله عز وجل يحفظه، ويؤيده، ويوفقه، وينصره، ويرعااه.

والحمد لله رب العالمين